في الحكاية، كيف أحكيها؟ لمَ لا أحكي حكاية تمشي بي في أمان في طريق عمري محفوفا بتتابع الشهور والسنوات، يناير يقصد ديسمبر، وديسمبر يُسلم الطريق إلى يناير الذي يليه، طريق محددة بالوقائع والأحداث تتعرج صاعدة في الصبا والشباب أو هابطة مع الكهل وهو يشيخ ويغذ الخطو باتجاه النهاية؟! أي حماقة تصور لي أن بإمكاني أن أجمع كل تلك النتف في دفتر واحد وأرفعه على رءوس الأشهاد وأقول هذه حكايتي؟! والأفدح أنني لست كاتبا محترفا، ما الذي سأفعله في هذا الركام؟!

هذا الركام هو عمري وحكايتي، ولدي سؤال يجمع شتات العمر. أريد أن أحكي. سأذهب إلى المكتبات وأحصل على مزيد من الكتب، سأتملى ما مر بي، وسأمشي في الشوارع وأمعن النظر، وأكتب.

أنت تكذب. لم تعد قادرا على المشي في الطرقات. لا رحت ولا جئت. لم تصعد سلما إلى أعلى رف في المكتبة، ولا حملت كتابا ضخما ونزلت به السلم، لم تذهب إلى هنا أو هناك، أنت مقعد على كرسي متحرك منذ عشر سنوات، إحدى عشرة سنة على وجه الدقة، ورضوى تتواطأ معك، تقول قطع الطريق من بيته إلى ميدان التحرير، ومن ميدان التحرير إلى ميدان مصطفى كامل. سار على قدميه. أنت لا تمشي، لماذا تخفي الحقيقة؟ لماذا لا تقول إنك مغلوب تحمل راية بيضاء؟ لماذا لا تحكي عن أبي العلاء الذي يرافقك بـ «غير مُجْد؟ ترن في أذنيك وأنت تحرك إعاقتك بضغطة خفيفة على مقود يكبح عجلات الكرسي، أو يترك لها أن تدرج بين غرفة وغرفة! هل كبّرت البنات حقا، أم كبرن بقانون يستعصي عليك؟

اذهب بعيدا يا أبا العلاء، قلت لا أريدك هنا. لن أكتب هذا الكلام!

سألتك حفيدتك:

«ماذا صنعتم يا جدي، كيف أوصلتمونا إلى ما نحن فيه؟».